دراسات في العلوم الإنسانيه
۲۷(۱)، ۱۳۹۹/۱۴۴۲/۲۰۲۰، صص۶۷-۹۵
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir

تجليات الخطاب الصوفي ومكوّناته في شعر محمود حسن إسماعيل (مجموعة "صوت من الله" نموذجاً)

جمال طالبي قرەقشلاقي*

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فرهنكيان . طهران

تاريخ الوصول: ۱۴۴۱/۰۵/۱۲ تاريخ القبول:۱۴۴۱/۰۶/۲۷

الملخص

يمثّل الأدب الصوفي لوناً من ألوان الأدب الرفيع يحمل في طيّاته أسمى المعاني وخصائص السموّ الروحي. وقد نهل محمود حسن إسماعيل من معين التجربة الصوفية خاصة في ديوانه "صوت من الله" الذي يمثل مرحلةً متميزةً من مراحل التطور الشعري عنده، حيث تحوّلت قصائده إلى مناجاة يستلطف فيها الذات الظمأى بالذات الإلهية. هذه الدراسة تعرض بمنهجها الوصفي والتحليلي مكونات الخطاب الصوفي في شعر محمود حسن إسماعيل وتدرس إشراقاتها ورؤاها من خلال مجموعته "صوت من الله". وأهمّ النتائج التي توصّلت إليها الدراسة هي أنّ الشاعر وظّف في ديوان "صوت من الله" بعض أفكار الصوفية منها وحدة الوجود، والفناء في الذات الإلهية، وانعكست هذه الرؤى في بناء قصائدها وتراكيبها، فحوّلتها إلى قصيدة رؤيا صوفية حلّق الروح فيها في عوالم جديدة وتخلص الجسد من ماديته. ومن جانب آخر، يشكّل حبّ الذات المطلقة المبدأ الأساس في ديوان "صوت من الله" إذ أعتق روحه من قيود الجسد فرحل إلى أقاصي الوجود وسما به نحو الاتّحاد مع الذات الإلهية والفناء فيه. ومن الناحية اللغوية، تميّزت اللغة الصوفية لدى محمود حسن إسماعيل بتوظيف بعض الرموز الصوفية التي لها دلالات ظاهرة وخفية، منها الناي، النور والخمر التي تكثر في شعره مقارنة بالرموز الأخرى، وذلك بأسلوب زاد المعنى جمالاً وروعةً.

الكلمات الرئيسة: الشعر العربي المعاصر، تحليل الخطاب، التصوف، الرمز، محمود حسن إسماعيل

۱- المقدمة

يشكّل الخطاب الصوفي ساحةً خصبةً وجد فيه الشعراء العرب المعاصرون فضاءاتٍ روحية وفكرية جديدة لإثراء تجربتهم الشعرية. والواقع أنّ النزوع إلى هذا النوع من الخطاب ليس إلا نتيجة إحساس عميق في نفس الصّوفي بالاغتراب عن العالم والذات. والهدف الأسمى الذي يسعى إليه الصوفي هو معرفة الله تعالى معرفة خالصة؛ لأنّ الذات الإلهية هي رمز السموّ

* الكاتب المسؤول: E-mail: j.talebi@cfu.ac.ir

Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2020-12-23]

والكمال.

إنّ الشعر الصوفي العربي يبحث باستمرار خلال مائة عام الأخيرة عن الرموز الإنسانية السامية ويحاول "وصل الذات بهذا المعنى لتأصيل جوهر إنسانية الإنسان من صفة، وخلق، وعمل، كونه امتداداً روحياً لأصالة الذات في نشدانها العليائي، والمثال في جدلها الدائم مع الواقع القائم على العيان، والاستبصار والتأمل" (فيدوح، ٢٠١٢م: ١٢٠).

وعن أثر الصوفية في الشعر العربي المعاصر، يرى بعض الباحثين أنّه "لا أحد ينكر أنّ التيّار الصوفي يشكّل مكوّناً أساسياً من مكوّنات الفكر العربي المعاصر... وبخاصة أنّ نتاجات الصوفية المختلفة قد شكّلت مادةً خصبةً لعديد من النتاجات الأدبية الحديثة والمعاصرة... وقادت بالنتيجة إلى أن تصبح المكونات الصوفية جزءاً مهماً في لحمة النصّ الأدبي الحديث، وقد ترقى في بعض الأعمال إلى المكوّن الأساس الذي يتماهى معه المبدع، ويوظفه بكيفية ما" (كندي، ٢٠١٠م: ٤٣).

وقد ظهر الخطاب الصوفي واضحاً عند عدد من الشعراء العرب المعاصرين منهم أدونيس، صلاح عبدالصبور، عبدالوهاب البياتي، محمد الفيتوري، محمد عفيفي مطر، ومحمود حسن إسماعيل الشاعر المصري المعاصر الذي يفوح عبق الصوفية من شعره خاصّة في ديوانه المسمّى بـ "صوت من الله". وجدير بالذّكر أنّ كلّ شعر محمود حسن إسماعيل لا يمكن تصنيفه في إطار الشعر الصوفي، بل نرى أنّ شعره شهد مراحل مختلفةً تطوّر أثناءها؛ أمّا المرحلة الأخيرة من تجربته الشعرية التي يمثّلها ديوان "صوت من الله" فيمكن القول بأنّها شعرٌ صوفي يتّصف بالرمزية والإيحائية إذ وظّف الشاعر الرموز الصوفية المألوفة عند كبار الشعراء الصوفيين فزاوج بين الشاعرية والصوفية ليصنع من التجربتين معيناً يرتوي من نبعها الصافي. يتميّز شعر محمود حسن الصوفي بميزتين اثنتين: الأولى أنّه لانرى في شعره تلك الرياضة الروحية الصوفية بل هي تصوّف ذهني على رأي بعض الباحثين (عياد، ١٩٨٧م: ٦٧). والثانية أنّ النزعة الصوفية لديه تظهر في جانبه اللغوي الذي استفاد من التراث الصوفي بشكل ملفت للنظر.

تحاول هذه الدراسة بمنهجه الوصفي والتحليلي . وذلك من خلال دراسة قصائد ديوان "صوت من الله" . الوقوف على ملامح الخطاب الصوفي وتسليط الضوء على مكوّناته آملةً أن تضيف شيئاً إلى الدراسات المنجزة عنه.

١ – ١– أسئلة البحث

أمّا الأسئلة التي ستحاول الدراسة أن تجيب عنها فهي:

– ما هي مكوّنات الثقافة الصوفية في ديوان "صوت من الله"؟

– ما الرموز الصوفية الموظفة في هذا الديوان؟

– كيف وظّف الشاعر الصور الشعرية والمفردات الصوفية في ديوانه؟

وهذه الأسئلة المطروحة تمثل الفكرة الأساسية لهذا البحث، فيأمل أن يكون ناجحاً في الإجابة عنها من خلال ديوان "صوت من الله".

Downloaded from mail.jhmodares.ac.ir at 10:25 +0330 on Saturday August 21st 2020

١ – ٢– خلفية البحث

والواقع أنّ عالم محمود حسن إسماعيل ثريّ خصب قد تناوله الباحثون، فتعددت الأبحاث التي درست أدبه وتفكيره. بالنسبة للدراسات المتعلّقة بشعره حصلنا على بعض، منها ما يلي:

ـ هناك كتاب معنون بـ "التصوير الفنّي في شعر محمود حسن إسماعيل" لمؤلفه "مصطفي السعدني" (لاتا) الذي درس فيه مكانته الشعرية ومصادر الخيال والصورة في شعره.

ـ درس محمد عبدالحكم عبد الباقي (لاتا) في بحث بعنوان "التصور الإسلامي في شعر محمود حسن إسماعيل" فكشف حقيقة التصور الإسلامي من خلال تفكيره الذي ينظر إلى الإنسان في ضوء ما كلّف به من عبادة صافية وإذعان متواصل لله خالق كلّ شيء.

ـ "شاعرية العلوّ في شعر محمود حسن إسماعيل" دراسة أخرى لعبد القادر فيدوح (لاتا) تناول فيها محاور عديدة منها: القومية. الرؤية الإشراقية، والرحلة الفوقية وبعض الثنائيات الضدية. وأهمّ نتيجة كشفها الباحث هي أنّ محمود حسن إسماعيل كان إشراقيّاً خاصة في تعالقاته الجمالية ورموزه الموظفة وصوره السحرية التي تأسر القلوب.نعم هناك بعض أوجه التشابه بين هذه الدراسة وبين دراستنا هذه، منها الإشارة الموجزة إلى رمزية الناي في شعره واستجارته إلى الذات الإلهية، وإشارة كلية إلى افتنان الشاعر بالسرّ الإلهي، وهذه هي كلّ أوجه الشبه بين الدراستين.أمّا الجديد في دراستنا فهو البحث عن مكوّنات فلسفة الشاعر الصوفية والرموز التي وظّفها للتعبير عن تفكيره، الموضوعين اللذين تكاد تخلو منهما دراسة فيدوح.

ـ "محمد (ص) في رؤية محمود حسن إسماعيل" دراسة مطولة لخالد طلعت عبدالفتاح الخولي (لاتا) تناول فيها الباحث التاريخ الإسلامي في عصر النبوة كما استدعى صورة البطل المتمثل في النبي (ص) في معاركه ضدّ الظالمين والطغاة. أثبتت هذه الدراسة أنّ الشاعر تجاوز الحديث عن النبي (ص) من خلال استخدامه لنظرية النور المحمدي مفاهيم الصوفية التقليدية وتناول قضايا العصر الذي يعيشها هو وأقرانه مستدعياً لهذا النور المحمدي الذي رفض كل ما ينذر بانهيار المجتمع الإسلامي. ولم نحصل على أوجه شبه بين دراستنا وهذه الدراسة التي أغفلت ديوان صوت من الله.

ـ تناول فرشاد جبروتي (١٣٨٩ش) في رسالته المقدمة لنيل درجة الماجيستر بجامعة العلامة الطباطبائي رمز النور في ديوان "قاب قوسين" للشاعر فتوصّل إلى أنّه قد تأثّر من الطبيعة خاصّة النور الذي يعتمد عليه الشاعر وجميع الكائنات، وهو يرى أنّ العالم لا معنى له إذا لم يكن هناك نور. نرى أنّ هذه الثيمة في ديوان "قاب قوسين" يقترب رمزياً من ديوان "صوت من الله" وإن كانت في الأخير ذات دلالات عميقة منها أنّ النور رمز التجلّي الإلهي لمكاشفة حقائق الممكنات.

ـ درس محمد عبدالحكم عبدالباقي (١٩٩٣م) في بحثه المعنون بـ "التصور الإسلامي في شعر محمود حسن إسماعيل" مرتكزاً على الأبعاد الدينية في شعره منها علاقته بالله والإنسان والكون، واستنتج أن حقيقة التصور الإسلامي عند محمود حسن إسماعيل تنبع من عقيدته الإسلامية الخالصة.

ـ درست الباحثة حكيمة جمالي نوروزاني (١٣٩٤ش) في أطروحتها المعنونة بـ "بررسي ارتباط بينامتنيت با قرآن كريم در

شعر محمود حسن إسماعيل" التي قدمتها لنيل درجة الماجيستر في اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران الحرّة، التناص القرآني في شعره وتوصّلت إلى أنّ التناصّ في نوعه الامتصاصي (النفي المتوازي) هو الأكثر استخداماً في شعر محمود حسن الذي تشرّب الفكرة أو المغزى من القرآن الكريم.

. وهناك دراسة معنونة بـ "التأمل والمناجاة في شعر محمود حسن إسماعيل ديوان صوت من الله" لمؤلف مجهول (٢٠١٨م) لم نحصل عليها.

والواقع أنّ الخطاب الصوفي ومكوناته في شعر محمود حسن إسماعيل لم يدرس من قبل في ضوء دراسة مستقلّة، ولم نعثر على شئ ذي بال إلا إشارات موجزة هنا وهناك ضمن بعض البحوث.

٢ – موجز عن محمود حسن إسماعيل و ديوان "صوت من الله"

ولد محمود حسن إسماعيل بقرية النخيلة التابعة لمحافظة أسيوط في الثاني من يوليو ١٩١٠ للميلاد. حفظ القرآن وعمره تسع سنوات في مكتب القرية (أنظر: السعدني، لاتا: ١٧). ترجع جذور ثقافة الشاعر إلى "طبيعة المناخ الفكري الإسلامي، ونشأة الجدل، واختلاف علماء الكلام حول بعض المسائل العقائدية من ناحية، وبين طبيعة الموضوعات التي استغرق فيها الصوفيون أمثال ابن الفارض، والسهروردي، وابن طفيل وابن عربي و..." (م. ن: ٦٤) من ناحية أخرى.

يكتنز ديوانه "صوت من الله" دلالاتٍ وسماتٍ صوفيةً ويحمل من المفردات ما يدعم هذا الحسّ الباطني المتوهج. يتألف هذا الديوان من ثلاث وعشرين قصيدة، وليست في الواقع إلا مجموعة من القصائد التي تدور في فلك موضوع واحد هو التوجّه إلى الله. يشير عنوان الديوان إلى أنها من الشعر الصوفي، وكم هو عنوان دقيق اختاره الشاعر!! لأنّ العنوان يعدّ بمثابة المفتاح الذي يفتح النصّ وهو دالة من دوال النص قبل تلقيه وتأويله، كما أنّه "القواد الحقيقي للكاتب" (قطوس، ٢٠٠١م: ٦١). فالألحان والأناشيد يكاد كل منها يتسرب في صياغة القصيدة من أولها إلى آخرها على نحو مباشر أو غير مباشر عبر الدوال والدلالات المرتبطة بهما.

فقد عبّر الشاعر في هذا الديوان عن الحبّ الإلهي وعن اتّصاله بالذات الإلهية والفناء فيها وشهود الحقّ. يضمّ الديوان ٢٣ قصيدة ذكر اسم "الله" تعالى في كلّ منها، وهي: "الله"، "الله والناي"، "هو الله"، "الله والذات"، "الله والموعد"، "الله والنفس"، "الله والمعبد"، "الله والتوبة"، "الله والتوبة"، "الله والشرك"، "الله والوثنية"، "الله والطريق"، "الله والجبل"، "سجدة لله"، "الله والطبيعة"، "الله والرياء"، "أذان الله"، "داع إلى الله"، "صلاة الله"، "الملك لله"، "الحمد لله"، "سبحان الله"، و"بيت الله". تكشف هذه القصائد ذات الحمولات التأملية، والنزعات الروحية، والومضات النورانية عن إدراك الشاعر لجوهر التجربة الصوفية وأبعادها الروحية نتيجة ثقافته الإسلامية الواسعة. والمهمّ في تجربة محمود حسن إسماعيل الصوفية هو أنّها– برأي الباحث– لم تكن تصدر عن الأسس الفلسفية لدى كبار الصوفيين، وإنّما تصدر عن فيض تلقائي ينشأ عن الطبيعة الروحية والوعي الصوفي الكامن للشاعر.

Downloaded from majhm.modares.ac.ir at 1:02 +0330 on Saturday May 23rd 2020

٣ – الإطار النظري للبحث

إنّ النزعة الصوفية ليست خاصّةً على مذهب أدبيّ معيّن بل هي تتواجد في جميع الاتجاهات الأدبية في مختلف عصورها التاريخية. و"لم تكن هذه النزعة متجانسة تمام التجانس في شعرنا العربي الحديث، وإن التقى الشعراء على أرضية صوفية مشتركة، واعتمدوا على ركائزها الأساسية، فاختلفت نزعاتهم باختلاف مصادرهم ومشاربهم، فمنهم من حاكى الصوفية الدينية الإسلامية كالتيجاني وصلاح عبد الصبور، أو الصوفية المسيحية الغربية مثل جبرا إبراهيم جبرا، وتوفيق صايغ، ويوسف الخال. ومنهم من أفاد من منجز الفكر الصوفي ومصادره في العالم مثل أدونيس والسياب وكثير من الشعراء المعاصرين" (الديك، ٢٠١٠م: ٢١٤).

أما المراد من الخطاب الصوفي في المصطلح النقدي فهو عبارة عن جميع التجارب الشعرية التي تتصف بالتجريد؛ تلك التجارب التي يريد فيها الشاعر الوصول إلى الحقيقة، والاندماج بها، ثم "الاتصال بالله أو بالعوالم الأخرى التي لايمكن الاتصال بها في الأحوال العادية (حسان، ١٩٥٥م: ٦٧).

ولا يسعى الخطاب الصوفي إلا إلى "تطهير النفس والروح من حبّ الدنيا وزينتها وإدخال الطمأنينة إليها. ويطرح في أكمل صوره الفنية التجريدية كوامن النفس من حبّ وجمال وقيم أخلاقية ومعرفة، وفي مضمونه أيضا الخطوات التي يتدرجها السالك . المريد . في تطهير نفسه والبلوغ بها مرتبة الكشف، كل ذلك يعكس الروح الدينية العالية عندهم". (الكتاني، ٢٠٠١م: ١٩).

والواقع أنّ الشاعر العربي المعاصر لم يمارس التصوف العملي كفلسفة يتوحد فيها المتصوف مع المطلق، ويتصل به اتصالاً مباشراً يتّسم بالصفاء صفاء المعاملة مع الله فذلك هو التصوف كما مارسه أهله من متصوفة الإسلام. بل عرف الشعراء العرب في العصر الحديث التصوف باعتباره تراثاً يقرأونه، لا سلوكاً ودیناً يعتنقونه (انظر: منصور، ١٩٩٦م: ٩).

والوجه الغالب للخطاب الصوفي هو الحضور المكثف للرموز والإشارات؛ هذه الرموز تتعدد ألوانه بتعدد بواعثه ومصادره بحيث يتفنن الشعراء الصوفيون في توظيفها حتّى يصعب أحياناً الوصول إلى مغزى تلك الرموز. والسبب في توظيف الرموز يعود إلى عدم قدرة اللغة العادية على حمل أبعاد تجربة المبدع بدلالاتها الوضعية.

ومن الناحية اللغوية استحدثت التجربة الصوفية لنفسها قاموساً لغوياً "وإن كان يقوم في الأساس على نفس المصطلحات اللغوية الموجودة في العربية إلا أنها تحمل بغير المتواضع عليه، وتحمل إشاراتها الخاصة كما تعبر عن الباطن المتصل بالإلهي والتفسيرات الصوفية للوجود" (سامي، ٢٠٠٥م: ١٠٦).

٤ – مكوّنات الخطاب الصوفي عند محمود حسن إسماعيل

تتميّز مرجعيات الخطاب الصوفي في ديوان "صوت من الله" بالحديث عن موضوعات خاصّة تكشف عن تغلغل النزعة الصوفية في قصائده. يمكن تصنيف تلك المرجعيات فيما يلي:

Downloaded from mail.imodares.ac.ir at 10:25 +0330 on Saturday August 31st 2020

٤-١- حبّ الذات الإلهية

إنّ إظهار الحبّ للذات المطلق من الموضوعات المحبّبة لدى الشعراء الصوفيين؛ شهد الشعر العربي المعاصر شعراء ذوي نزعة صوفية مثل:"أدونيس، التيجاني يوسف بشير، خليل حاوي، صلاح عبدالصبور، عاتكة الخزرجي، عبدالوهاب البياتي، ومحمد الغزي الشاعر التونسي" (انظر: محمود، ٢٠١٧م: ١٦٩). والقارئ يمكنه ملاحظة خيوط من الحبّ الإلهي في شعر بعض هؤلاء الشعراء (أنظر: إبراهيم، ١٩٩٦م: ١٢٣.٢٦٩).

ومن هذا المبدأ يفوح عبق الحبّ الإلهي من جميع قصائد ديوان "صوت من الله" فتسكر رائحته القارئ. ولما كان الوصول إلى الحضرة الإلهية هو غاية الصوفي، فإنّ الشاعر يتسامى بروحه وأحاسيسه في سبيل الوصول إلى ذلك، ممّا جعل التعبير عن حالة الوجد والفناء تتّخذ بعداً آخر يتّصف بالخضوع المطلق للمعشوق، كما في خطابه للذات الإلهية:

لـــــكَ المُلـــــكُ والحمـــــدُ.. أنـــــتَ النّصـــــير

وأنـــــتَ الأمـــــانُ لِمَـــــن يَســـــتَجير

وَأنـــــتَ لِمَـــــن قـــــالَ: يـــــا ربِّ.. نُـــــور..

يَـــــمُدُّ السَّـــــكِينَةَ لِلحـــــائرين

وَيســـــكُبُ لِلـــــرُّوحِ نـــــورَ اليَقـــــين

وَيَمحـــــو الأســـــى مِـــــن ظَـــــلامِ الصُّـــــدُور..

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ١١٩)

هناك دلالات عميقة في المحبة للذات الإلهية في الخطاب الصوفي؛ والشاعر الصوفي لا يصوّر لذة تفوق لذة الوصول إلى الذات الإلهية، لأنّه يراها أصل الوجود. ومن أجل ذلك نرى الشاعر قد توقّف للحديث عن المحبة الإلهية وتعميق أغوارها. وتعدّ هذه المسألة أعلى مقامات السالك إلى الله "فكان العشق هو القوة الخفية التي تدفع السالك على المضي قدماً في الطريق رغبة في لقاء المحبوب الأزلي، وهو الله سبحانه وتعالى (محمد جمعة، ١٩٩٦م: ٩٠). وإذا تأمّلنا الأبيات السالفة الذكر فنلاحظ أنّ الحبّ في تفكير محمود حسن تحوّل من دلالته الموضوعة له إلى دلالة خاصة ارتبطت بوجدان الشاعر إذ يعبر في هذه الأبيات عن الحبّ الإلهي من خلال العلاقة التي عقدت بينه وبين الخالق، وهو حبّ يصرفه عمّا سوى الله. وقد وظّف الشاعر الدعاء، ذلك البعد الغائر في نفس كل إنسان محتاج إلى معين، فيقول مخاطباً الذات الإلهية:

إلهـــــي دَعَوتُـــــكَ! فاقبـــــل دُعـــــائي

وناديـــــتُ يـــــا ربِّ .. فـــــاسمع نِـــــدائي

وَمَـــــن غَـــــيرُ بابـــــكَ يُجيـــــي رَجـــــائي؟

فأمضِـــــي إلى النُّـــــور خَلـــــفَ الحِجـــــاب

صـــــلاةً تُغَـــــنّي بقـــــدسِ الضّـــــياء

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ١١٩)

روح التصوّف واضحة في الأبيات المذكورة التي يكثر فيها الدّعاء إلى الله تعالى والتي تنمّ عن صدق التجربة الصوفية لدى الشاعر. وزاد في صوفية الخطاب استخدام لفظة الصلاة التي توحي بتحضير ذاته لدخول عالم نوراني يتداخل فيه المعنوي بالمحسوس، وهي رمز عبّر به عن رحلته إلى عالم الصفاء. وبهذه الصيغة الابتهالية يتوجه الشاعر إلى خالقه، ويكثر الابتهالات والمناجاة ليسمو إلى عالم ماوراء الطبيعة ويصل إلى مستوى آخر من الإدراك وهو انبعاث النور من الذات الإلهية في العالم الحسي. ويستمرّ الشاعر في مناجاته في مواضع كثيرة مؤمناً بأنّ الله تعالى هو المستعان والمجير وحده:

إلهـــــي! أعِـــــنّي، وبـــــارِك صَـــــلاتي

وَبِـــــالعَفوِ طَهِّـــــر خُطـــــا، مَعصـــــياتي

وَبِـــــالنّورِ يـــــا رَبّ ســـــاعِدْ جَنـــــاحِي!

إلهـــــي ومـــــا لِي دُعـــــاءٌ سِـــــواكا

وَلا لِي مَـــــفزَعٌ اللَّيـــــلِ إلا ضِـــــياكا

وَلا عَـــــونَ لِلـــــرُّوحِ إلا يَـــــدَاكا

إذَا رَفرَفَـــــت كُنـــــتَ فيهـــــا الـــــدُّعاء

وَإن هَتَفَـــــتْ كُنـــــتَ نُـــــورَ الرَّجـــــاء

فَمـــــا لي وَلا لي مُجـــــيرٌ عَـــــدَاكا!!

(م. ن: ١١٩.١٢٠)

هذه الأبيات تعدّ مقتطفات من قصيدة "الملك لله" حيث يتضرّع فيها الشاعرإلى ربّه وينادیه في إلحاح ويقين بأنّ الملك له وحده وأنّ الله سبحانه هو المستعان، وأنّه غياث المستجيرين. يرى الشاعر أنّ الله تعالى هو الذي ينزل السكينة على قلوب العباد الحائرين ويلبسها رداء اليقين، فلذلك يدعوه في تضرع وخضوع أن يعينه ويغفر خطاياه لأنّه هو المجير وحده. وما من

Downloaded from mail.jhmodares.ac.ir at 10:25 +0430 on Saturday August 21st 2020

شكّ أنّ المتأمل لهذه الأبيات قد يبدو له بشكل واضح أنّ حبّ الذات الإلهية عند الشاعر يتمثّل بالانقياد المطلق أمام قدرة الله تعالى، وهذا يجعل انفعالات الشاعر دائمة الاتصال بالمعشوق والخضوع إليه. وأما من الناحية اللغوية، فقد عبّر الشاعر عن حبّ الذات الإلهية بشكل واضح جليّ دون اللجوء إلى خطاب رمزي معقد. هذه النماذج الدالة على الحبّ والقرب، الخوف والرجاء، والتحدث بنعمة الله، كلّها علامات دالة وأمارات شاهدة على أنّالتجربة الشعرية عند محمود حسن إسماعيل تقطر شوقاً إلى الذات الإلهية.

٤-٢- المدائح النبوية

إنّ المدائح النبوية لون من ألوان الشعر الصوفي وهي موجودة قبل ظهور المتصوفة؛ لأنّ شعر صدر الإسلام حاشد بمديح الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم. والواقع أنّ حبّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) عقيدة راسخة في قلوب المسلمين، ولكن هذا الحب تطور عند المتصوفة إلى الاعتقاد فيما يسمى بـ "الحقيقة المحمدية"؛ حيث تصوروا أنّ للنبي الكريم طبيعتين: بشرية وروحية، البشرية هي التي يظهر بها للناس، والروحية هي التي أفاضت على الوجود بنورها، وصدر كل شيء عنها، وهذا قريب من التصور الفلسفي للنفس لدى الفلاسفة المسلمين المتأثرين بالفلسفة اليونانية. (عبد الدائم، ١٩٩٤م: ٥٤). تطوّر فن المديح النبويّ عبر القرون والأعصار حتّى بات يمثّل أرقى نماذج شعرية أنشدها شعراء بقلوب مفعمة بمشاعر الحبّ تجاه النبيّ (رحمتي تركاشوند وآخرون، ١٤٣٩: ٢). و المديح النبويّ يعدّ من مكوّنات الشعر الصوفي لدى محمود حسن إسماعيل؛ وقصيدة "صلاة الله" من أجمل قصائده في مديح النبيّ (صلّ الله عليه وآله) التي استهلّها بإظهار شوقه إلى رؤيته، والصّلاة عليه تقديراً وتعظيماً. هذه القصيدة كلّها صلوات العاشق المجنون، وترنيمة الروح المشتاقة العطشى إلى النبيّ (ص):

أصَلّي عليك..

وكُلّ الوجُودِ صَلاةٌ وشَوقٌ إليك

أصَلّي عليك..

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ١١٤)

ولننظر في مفردات هذه السطور "أصلّي" "صلاة" "شوق" وغير ذلك من المفردات التي تؤكّد حبّ الشاعر للرسول (ص) وولعه بزيارته. كما أنّ تكرار مفردة "أصلّي" يعكس مدى حبّ الشاعر لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهو يعكس تجربة روحية تمتزج بالوعي الصوفي المتفتح على الأسمى والأنقى. والرسول صلوات الله عليه وآله جاء بنور الهداية ودين الحقّ، وهو الذي أضاء الطريق للمسلمين، ورفع الأعلام للحائرين، فلذلك يستحقّ بالحبّ والصلاة:

وَنُورُ الهُدى ساطِعٌ مِن يَدَيك

وَرُوحـــي نَشـــيدٌ مِـــنَ الحُـــبّ يَهفُـــو لَـــديك

أُصـــــلّي بِقَلـــــبي وأعمـــــاقِ حُـــــبّي

وأمشـــــي وأنـــــتَ الضـــــياءُ لِـــــدَربي

وَكلّـــــي حَنـــــينٌ وَشـــــوقٌ إليـــــك

أصـــلّي عليـــك وَصَـــلّى وسَـــلّم نُـــورُ الالـــه

وَصَـــــلّت عليـــــكَ جَميـــــعُ الحيـــــاة

رَفعـــــتَ المنـــــارات لِلحـــــائرين

(م. ن: ١١٤)

يتشكّل هنا معجم الحبّ عند محمود حسن إسماعيل من"نشيد الحبّ، الصلاة، الضياء، حنين وشوق". هذه الألفاظ الدالة على المحبة تمثّل المعجم اللغوي لخطابات الشاعر، ونلمس تكرارها في أكثر من موضع، وهي تعبر عن مشاعره وأحاسيسه التي حاول نقلها إلى المتلقي بكل انفعالاته ووجدانه الصادق المفعم بأصدق المشاعر وأنبل الأحاسيس. فالواضح من هذه الأبيات هو تلك النفثات الصوفية المتجلية من خلال حديثه عن مصطلحات لا يستعملها إلا المتصوفون. والأبيات كما يبدو تتمحور حول مديح الرسول (ص) والشاعر وضّح أنّ الرسول أرشد الأمة وهداها إلى سبيل الرشاد وهذا بمثابة قوله تعالى: "وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم" (الشورى: ٥٢).

وَنـــــــــــوّرتَ بـــــــــــالحقّ للعـــــــــــالمين

وَبِالعَـــــــدل صُـــــــنتَ إبـــــــاءَ الجبـــــــين

وَوحـــــــيُ السّـــــــما هـــــــلّ مِـــــــن راحَتيـــــــك

وَكـــــــلُّ البرايـــــــا تُصـــــــلّي عليـــــــك

أصَـــــلّي عليـــــكَ .. ضـــــياءً وَطهـــــراً لأحلامنـــــا

أُصـــــلّي عليـــــكَ.. إبـــــاءً ونَصـــــراً لأيامنـــــا

فَمِـــــن نُـــــور خطـــــوك شـــــعّ الفـــــداء

Downloaded from mail.jhmodares.ac.ir at 10:25 +0330 on Saturday August 31st 2020

وَمـــن نُـــور هَـــديكَ وصَـــلّى وَسَـــلّم نـــور الإلـــه

وَصَـــــــلّت عَليـــــــكَ جَميـــــــعُ الحيـــــــاة

(م. ن:١١٥)

إنّ المتدبّر في التركيبة اللغوية لهذه القصيدة يلمس أنّ الشاعر استقى مادة حبّه للنبيّ (ص)من القاموس الصوفي في أروع تجلياته إذ تشمل على كثير من الألفاظ والتراكيب التي تنتمي إلى حقل الصوفية، مثل: الصلاة (ستّ عشرة مرّة)، الشوق (مرتين)، نور الهداية، الروح، القلب، الدرب، الضياء، النور (ستّ مرات)، الحنين، الوحي، السماء. وجدير بالذكر أنّ توظيف هذه المفردات في شعره ليس إلا "للإيحاء بروحانية التجربة الشعرية، وضرورة تجرد الشاعر لها، وفنائه فيها." (عشري زايد، 1992م: ٧)

وفي بعض قصائد هذا الديوان أشار محمود حسن إسماعيل إلى العصر الجاهلي وما يعبد فيه النّاس من أوثان، كما أنّه أشار إلى ليلة المولد النبوي التي انشقّ إيوان كسرى وانهار قسم منه:

قيـــــل مُبشـــــرى الوجـــــودِ؟ قالـــــت: مُحمـــــد

فأكبـــــــتْ أوثـــــــانُهم وهـــــــي تُعبَـــــــد

واســـــــتجارت نـــــــيرانُهم وهـــــــي تُخمَـــــــد

وَتهـــــــاوى إيـــــــوانُ كســـــــرى المُمـــــــرّد

...

طَهَّـــــرَ الكَـــــوْنَ مِـــــن ضَـــــلالٍ وَرجـــــس

أنْقَـــــذَ النّـــــاسَ مِـــــن ظَـــــلامٍ وَبُـــــؤس

كـــــم سَـــــرى نُـــــورُه إلى كُـــــلّ نَفـــــسٍ

ســـــيرَةَ الشَّـــــمسِ بـــــينَ مـــــاءٍ وَغـــــرسِ

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ٦٦)

وصف الشاعر في الأبيات المذكورة النبيّ(ص) بأنّه بشارة الأكوان، وهو الذي حطّم أصناماً كان النّاس يعبدونها، وبذلك طهّر شبه الجزيرة العربية من عبادتها، وأنقذ الناس من الظلمات وهداهم إلى النّور، فكلّ ذاق نور هدايته. وقد ألهمه هذا الحبّ

العميق معان شعرية عميقة إذ أشار الشاعر إلى معجزات ليلة مولد الرسول (ص) من إخماد نيران الفرس التي لم تخمد قبل ذلك بألف عام، وتصدّع إيوان كسرى في العراق الذي سقطت شرفاته. وبهذا يتخذ حبّ النبيّ في هذه القصيدة أبعاداً روحانية وجدانية وصوفية.

٤-٣- الفناء في الله والوصول إلى الذات المطلقة

ظهر الحديث عن الفناء في أوّل ظهوره عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين. يقول القشيري في رسالته متحدثاً عن الفناء: "أن يميتك الحقّ عنك ويحييك به." (٢٠٠١م: ٢١٧) ويقول في موضع آخر: "فإذا فني عن توهّم الآثار من الأغيار بقي بصفات الحقّ ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً يقال أنه فني عن الحقّ وبقي بالحقّ." (م. ن: ١٣٩) إنّ الفناء في الله والوصول إليه والتلذذ بنوره ومعرفته هو غاية ما يرنو إليه المتصوفة؛ واستطاع محمود حسن إسماعيل من خلال هذه الفكرة، الوصول إلى المحبوب والفناء فيه عن طريق المعرفة القلبية إذ تخلّص من عقال الجسد، فحاول من وراء ذلك إلى الذوبان في الذات الإلهية:

تَبَجَّسَ الطِّينُ الَّذي في تَرَابِي..
وَانصَهَرَ السُّورُ الَّذي حَدَّدَنِي..
وَانسَحَقَّ القَيدُ الَّذي قَيَّدَنِي..
وَصِرتُ بَعضَ النُّورِ.. بَعضَ الزَّمنِ
بَعضَ ضِياءٍ.. كَانَ قَد دَوَّخَنِي..
عَلَى تُرَابٍ مُظلِمٍ عَذَّبَنِي..

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ٢٦)

الفكرة الرئيسة التي تتمحور حولها هذه الأبيات هو أنّ البعد الجسماني للإنسان يزول، وأنّ هذه الذات المحسوسة التي خلقت من الطين ذاتٌ محدودةٌ فانيةٌ مآلها إلى الفناء. هنا صار الشاعر بعض النور (الذات الإلهية) والمحلّ في المحبوب وذاب فيه، وهذا ما يعرف بالحلول الصوفي الذي يذوب فيه الجسد ويضمحل ويتّحد بالروح. نلاحظ هنا أنّ الشاعر يشير إلى أنّه مثل هؤلاء المحبين الصوفيين العاشقين الذين تذهب عقولهم هياماً وعشقاً فيمن يحبّون فتذوب أجسادهم وتنحلّ لتسمو روحهم في محاولة للاتصال بالمحبوب. والطين رمز للجنس البشري الذي يشكّل المادة الأولى في خلقة الإنسان على أساس الآية: "**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ**" (**السجدة: ٧**) ويعدّ تأثر الشاعر بهذه الآية القرآنية

تمظهراً من تمظهرات تصويف العبارة بربطها بمرجع روحي زاخر.

إنّ الفناء تجربة شخصية للتعالي يمارسها الصوفي، وهو يبدأ هذه التجربة بالتطهير البدني والخلاص من عالم الطبيعة والإنسان لينتهي باتصال ذاته الإنسانية بالذات الإلهية. إنّه نوع من الارتقاء الوجودى والتدرج برفع العارف الصوفي من مرتبة الإنسان الحيواني أو الجزئي إلى مرتبة الإنسان الكامل أو الكلّي الذي هو صورة للحقيقة الأزلية (أنظر: عبد الحق، ١٩٨٨م: ٣٠٢.٣٠٣). هذه الفكرة كثيراً ما نشعر بها في ديوان "صوت من الله" حيث لايرى محمود حسن في تفكيره الصوفي شيئاً إلا الله، وهو ينسى كلّ شيء سوى الله. فأنشد في قصيدة "هو .. الله":

فَقَد وُلِدَتْ حَياتي مِن جَديد

وَفُكَّت مِن أَسَى الدّنيا قُيودي

...

عَرَجْتُ إِليهِ فَوقَ جِناحِ طَير

هُوَ الغَيبُ الَّذي بَيديهِ يُشري

...

وَطارَ الطَيرُ وانكَشَفَ الحِجابُ

وَعَنّى في مِسابِحِهِ السَحابُ

يا نَفسُ لا حُدود

لا قَيدَ لا سُدود

لا جِسمَ لا وُجود

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ٢٤.٢٥)

فمن خلال هذه الأبيات يروم محمود حسن إلى فكرة الوصول إلى الله والفناء فيه في رحلته بالطائر فوق السّحب فأعطى لها مسحة صوفية وأحسّ أنّه ولد من جديد وفكّت قيود الحياة المادية من جسمه. وقد شبّه الشاعر رحلته بالعروج إلى الذات المطلقة التي تزيل الحجاب، فحاول من خلال ذلك إلى إذابة الحدود وكشف الحجب حتّى بلوغ درجة الفناء، كما سعى إلى أن يتخلّص من طينيته ليسمو إلى الذات الإلهية، فارتقى إلى أفق الاتصال وتلاشى الجسم ونسي وجوده ولم يرَ إلا الذات الإلهية

Downloaded from majhm.modares.ac.ir at 10:25 +0330 on Tuesday May 31st 2022

وهو معنى الفناء في شعره.

٤-٤- وحدة الوجود والتجلّي

إنّ ما يمكن استخلاصه من مذهب الصوفية في التجلّي أنّ الله لا يُشاهَد إلا في الأشكال والصور العينية التي يظهر فيها وهو مصطلح مهم في التصوف والعرفان الإسلامي والذي يعني في اللغة الظهور والجلاء الصقل وإزالة الصدأ (مؤمنى، ١٤٣٨: ٧٣). أحبّ الصوفي الطبيعة لأنّه يرى من خلالها التجلّي الإلهي. هذه الفكرة قد استحضرها محمود حسن إسماعيل في قصيدة "الله والناي" من خلال الكائنات التي تستثير مشاعر الصوفية:

أراهُ عَلَى الزَّهرِ لَكِنَّني
إذَا صَافَحَ العِطرَ غَافلْتُهُ
أراهُ عَلَى النَّهرِ لكِنَّني
إذَا عَانَقَ المَوجَ غَادرْتُهُ
أراهُ عَلَى السَّفحِ لكِنَّني
إذَا مَايَلَ العُصنَ زَايلْتُهُ
أراهُ عَلَى الأفقِ شَيئًا أضَاءَ
وَمِن نَعسَتَينِ نَاري تَوهَّمْتُهُ
أراهُ عَلَى الرِّيحِ صَوتَ الحَنين
تَجَسَّدَ حَتَّى تَأملْتُهُ
...
أراه بِذاتِي في كُلِّ هَمس
وَفي كُلِّ طَيفٍ تَخَيلْتُهُ
...
وفي كُلِّ ذرات هذا الوجود
أراهُ رَنيناً تَسَمّعْتُه

(م. ن: ١٧.١٨)

إنّ مشاهدة أنوار التجلّي الإلهي تظهر بوضوح في هذه المقطوعة، وهذه هي حقيقة الرؤيا الصوفية التأملية التي لا تنظر إلى

Downloaded from mail.jhmodares.ac.ir at 10:25 +0430 on Saturday August 31st 2019

شيء إلا وترى الله فيه. تلك الحقيقة سرّ تظهر أمام عيون الشاعر، غير أنه سرعان ما يفقده، ولا يقدر الشاعر أن يمسك بهذا السرّ ولن يمسك به، إنّه موجود ومفقود في آن معاً. يقول شكري عياد "إذا شاء السرّ أن يتجلّى في عنان العالم المرئي انصرف الشاعر عنه، أهو الوجود المطلق مرة ثانية؟.. ربما كان هو عالم الجمال الفكري الذي يطمح كلّ شاعر أن يحققه تحقيقا كاملاً في ذاته" (شكري محمد، ١٩٧٨م: ٨٣).

إنّ هذا السرّ اتّخذ شكلاً من أشكال التجلّي في شعر محمود حسن إسماعيل خاصّة في الأبيات السابقة حيث أصبحت صور الطبيعة بأشكالها المتكثرة إشارات ودلائل على هذا السرّ. إذ تجلّت الذات الإلهية في ظواهر الطبيعة حيث يقول: "أراه على الزهر، أراه على النهر، أراه على الدوح، أراه على الأفق، أراه على الربح"، وهذا يدلّ على تأثر الشاعر بمذهب "وحدة الشهود ووحدة الوجود" عند ابن عربي. وقد يبلغ تجلّي الذات الإلهية ذروته عندما يتّحد الشاعر بالسرّ الإلهي قائلاً: "أراه بذاتي" بحيث تنمحي حدود الزمان والمكان، ويمسك الشاعر بسرّه المفقود في لحظة عرفانية أشبه ما تكون بحالة "التمكين" لدى الصوفي. و"مصافحة العطر" و"معانقة الزهر" و"مايلة الغصن" إشارات تدلّ على إمساك الشاعر بسرّه حيث يقول: "تجسّد [السرّ]حتى تأملته" وبهذه الصور الشعرية يكسب السرّ الخفيّ آليّات الحضور لدى الشاعر.

ينفي محمود حسن إسماعيل في قصيدة "الله" التفكير القائل بأنّ لقاء الله يخصّ بعض الناس، معتقداً أنّه يتجلّى في كلّ مظاهر الطبيعة كما كان ابن الفارض يراه:

فُـــــــــــــــوْرُه عَمَّـــــــــــــــرَ الـــــــــــــــدهورَ..

..في الحُـــــــــــــــبِّ، في الأمـــــــــــــــلِ المخلـــــــــــــــقِ

في الأجِنّـــــــــــــــةِ والبـــــــــــــــذُورِ..

..في الـــــــــــــــرِّيحِ في النَّســـــــــــــــيمِ المـــــــــــــــزّحِ

في العشـــــــــــــــايا والبُكـــــــــــــــورِ

..في الطّيـــــــفِ تَلمَحـــــــهُ ظِـــــــلالٌ ظِلالُـــــــه فَـــــــوقَ الغَـــــــديرِ

..في السّـــــــــــــــفحِ في ضَـــــــــــــــجرِ المَغـــــــــــــــاوِرِ

في الَـــــــــــــــبَرازخِ، في البُحـــــــــــــــورِ

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ١٣)

تعتبر الطبيعة جزءاً مهمّاً في العرفانية الصوفية؛ فالصوفي يبحث في شعره عن سرّ هذا الكون وعن معرفة الحق والوصول إلى الحبّ الإلهي. ومن هذا المبدأ، تدور هذه الأبيات حول التجلي الإلهي إذ يتجلى نور الله في جميع الكائنات من الحبّ إلى

Downloaded from mail.jhmodares.ac.ir at 10:25 +0330 on Saturday May 23rd 2020

آمال الناس، ومن الأجنة إلى الريح، وفي كلّ الأزمنة والأمكنة. فالطبيعة في تفكير محمود حسن إسماعيل في كلّ حالاتها، وبكلّ ألوان تشكيلها، حية أم جامدة، ليس إلا انكشافاً للذات الإلهية لتنكشف له وحدة الوجود، وهو يرى أنّ كلّ ما في الحدائق من زهور ومياه وينابيع وأشجار هي تجلي الجمال الإلهي لأنه يعتقد أنّه "وإن من شيء إلا يسبح بحمده" (إسراء: ٤٤):

كُلّمـــــا قَبّـــــلَ ضـــــوءُ الشّـــــمسِ زهـــــرَه

وَالنَحـــــنى العُصـــــنُ لهـــــا ينُقّـــــلُ ســـــرّهُ

لاحَ لي وَجهُـــــكَ في كـــــلّ شُـــــعاعٍ يَتجلّـــــى

يَمـــــلأُ الأيـــــامَ عطـــــراً وأناشـــــيداً وَظِـــــلّا

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ٨٩)

ففي هذه الأبيات عبّر الشاعر عن الوحدة المطلقة حيث يتجلّى الوجود المطلق في كلّ مظهر وصورة، بل ليس في هذا الكون كلّه سوى الوجود الإلهي الذي يتجلّى في مظاهر الطبيعة، ويغمر الأكوان عبيره المسكرة.

٤-٥- الحنين إلى الأماكن المقدسة

وظّف الشعراء الصوفيّون كثيراً من الأمكنة المقدسة والشعائر الدينية في شعرهم وأعطوها دلالات روحية وفق رؤيتهم إليها. هذه الرؤية تتجلّى في شعر محمود حسن إسماعيل إذ تغنّى في أشعاره بالأماكن المقدسة والشعائر الدينية منها مكّة المكرّمة، والصفا والمروة وهي مواضع مقدسة؛ أمّا مكة المكرمة فهي مهبط الوحي، وأمّا الصفا والمروة فهما من رموز الحجّ. يقول في قصيدة "بيت الله":

إلهِـــــــي سَـــــــعينا مَـــــــعَ المُوكِـــــــب

هيامـــــــاً إلى البلـــــــدِ الطّيـــــــبِ

...

ولبيـــــــك لبيـــــــك ربِ السّـــــــماء

فَقـــــــرّب محطانـــــــا لأرضِ النـــــــبيّ

...

هنـــــــا الـــــــرّوح في عَتبـــــــاتِ الضـــــــياء

وفَـــــــوقَ الصّـــــــفا وعلـــــــى المـــــــروتينِ

...

هنـــــا مَهـــــبِط الـــــوَحي مـــــن ســـــار فيـــــه

ســـــــرى هـــــــائِم الـــــــرّوح في جنّتـــــــين

(م.ن، ١٣٠.١٣٢)

هذه الأبيات تكشف عن مدى شوق الشاعر للديار المقدسة، ووظّف من خلال ذلك رموزاً متنوعة تمثلت في (مكة، الصفا، والسعي) وهي رموز دالة على أداء مناسك الحج. وقد استعمل الشاعر هذه الرموز واتخذ منها دلالاتٍ كبيرةً موحيةً للتعبير عن عشقه الإلهي وتشوقه إلى المقام الأعلى.

٥ – الرموز الصوفية في تفكير محمود حسن إسماعيل

يتميّز الشعر الصوفي غالباً بأسلوبه الرمزي وبلغته الغامضة والمغلقة أحياناً لما يحتويه من رموز وإشارات تراجعإلى المعجم الصوفي. ولكي يفهم القارئ النصوص الصوفية عليه أن يرجع معجم الصوفيين الخاصة لتفكيك رموزهم. والرمز لدى الصوفية عبارة عن "معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله" (الطوسي، ١٩٦٠م: ٤١٤). يرى الباحثون أنّ اللغة الرمزية "أقدر على التعبير عن عمق التجربة الوجودية الصوفية، لأنّها عميقة لا تنتهي الدلالة فيها عند ظاهرها، فإنّ وقف المتلقي عند الظاهر . ولم يجعل همّه في إدراك الباطن . وقف دون مقصود البحث، لأنّ الرمز كلام يعطي ظاهره ما لم يقصده قائله" (الصادق الوهابي، ٢٠٠٧م: ١٩٥). والقارئ لديوان "صوت من الله" يرى أنّه لا يخلو من الرموز الصوفية، بل ونرى بعض مقاطعه تتعدد فيها الرموز وتكثر. يقول في قصيدة "الله والنفس":

...

تَعامَيـــــتِ .. حـــــتّى رَكِبـــــتِ الظَّـــــلام

عَلـــــى هَـــــودَجٍ مِـــــن ضَـــــبابِ الغـــــرور

جَناحـــــاهُ مِـــــن شَـــــهَواتِ الحَيـــــاة

وَمـــــن يأسِـــــها في لقِـــــاءِ المصـــــير

هَـــــوى بـــــكِ في قَـــــاعِ لَيـــــلٍ بَهـــــيم

تَـــــُورِيَن فيـــــه بِخَطـــــوِ الضَـــــرِير!

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ٤٢)

والظلام في الشطر الأول يرمز إلى انعدام الاتصال القلبي الذي يفصل بين عالم الغيب والشهادة، كما أنّ ضباب الغرور في الشطر الثاني رمز لعدم صدق القصد في طريق السلوك. أما شهوات الحياة في الشطر الثالث فترمز إلى الانحدار في طريق السلوك. والليل البهيم في الشطر الخامس يرمز إلى العمى والحيرة أمام الإدراكات الكشفية في كنه الذات، وخطو الضرير يرمز إلى انقطاع النفس عن رؤية وقوع شئ بإرادة غير الله.

وأما أهمّ الرموز الصوفية الموظفة في شعر محمود حسن إسماعيل فهي على غرار ما يلي:

٥-١- الناي

للنّاي في الأدب الصوفي مكانة ممتازة إذ أنّه من الناحية السيميولوجية رمز للإنسان الذي انقطع عن أصله العلوي. فالنّاي الذي اقتطع من أجمته هو كالإنسان الذي قدّ من أرض وجوده الأزلي، أو استُلَّ من داخل أصله الكلّي، فكان تعيّنه في هذا الوجود ابتعاداً عن ذلك الأصل، وهجراناً له، ونأياً عنه. ومن هنا كان الإنسان ناياً، وكان الناي إنساناً في ترجيعه الحنين إلى الأصل المفتقد (أنظر: سليطين، ٢٠١٠م: ٦٥).

لعلّ جلال الدين الرومي أحسن من وظّفه في شعره العرفاني الصوفي لاتّصاله بالعشق وباعتباره أداة لبثّ الأنغام الشجيّة. ومن هنا يظهر تأثّر محمود حسن إسماعيل به لما حوت أشعاره من هذه المفردة الصوفية، فاستحضر النّاي في بعض قصائده منها قصيدة "الله والنّاي" وهو لايزال يبحث فيها عن سرّ الكون ويكشف عن انشغاله بهذا السرّ وحيرته وتساؤله:

إلهـــــي! ..ومـــــا زال في النـــــاي ســـــرٌّ

وشـــــطٌّ مـــــن الـــــوَحيِ.. مـــــا أُرِزتـــــه

ومـــــا شَـــــرِبَتْ حَـــــيرتي منـــــه لَحنـــــاً

ولا أتّي يـــــــــومٍ بهـــــــا جِئْتـــــــه..

تَـــــــــوارى وأســـــــــبَلَ أنغامَـــــــــه..

علـــــــى وَتَـــــــرٍ كُنـــــــتُ قَطَّعْتـــــــه

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ١٦)

Downloaded from mail.ihmod.ir at 10:25 +0330 on Saturday January 23rd 2020

قدّم الشاعر في هذه القصيدة لوحات صوفية جميلة إذ أقرّ في الشطر الأوّل أنّ هناك أسراراً روحانية عميقة تدلّ على غربته وانفصاله عن أصله الذي يحنّ إليه، وتزداد غربته عندما يعترف في الشطر الثاني بأنّه لم يصل إلى شواطئ المعرفة الإلهية بعد، لأنّ الحيرة قد وردت على قلب الشاعر وحجبته عن استماع ألحان الناي العذبة فأصاب بتمزق روحي وانهيار وجداني من أجل ذلك. ثمّ يعلّل ذلك بإضاعته الطريق قائلاً:

إلهِـــــي .. ومِـــــن أيـــــنَ أهتُمـــــو إليـــــه

وَدربي لرؤيـــــــــــــاهُ ضَـــــــــــــيَّعتُه!

...

وأشـــــــعلتُ فيـــــــه صَـــــــلاةَ التَّربـــــــاب

تُغـــــــنّي زمـــــــاني... ومـــــــا دُقْتـــــــه!

تَلاشـــــــيتُ في كـــــــلّ دربٍ، فمـــــــا

أُحـــــــسُّ بِغيـــــــرِ المـــــــدى، قُتْـــــــه!

وأوغَلـــــــتُ حـــــــتّى سَـــــــقاني الطريـــــــق

ثُمـــــــالاتِ ســـــــحرٍ .. تصـــــــوّرتُه..

شَـــــــوابي .. وأبقـــــــى رمـــــــادَ الضـــــــياء

وَمـــــــا زالَ جمـــــــراً تَشـــــــهّيتُه

(م. ن:١٩)

تطغى نشوة الألحان المتمثّلة في الناي والرباب حتّى يصل الشاعر إلى إدراك الأسرار الإلهية، وسرعان ما يرى أنّه أضاع الطريق، لأنّه أصاب بالعجب وأضلّ في البحث عن الأسرار الربانية، ثمّ يستدرك ويقول إنّه تغنى بتلك النشوة العارمة التي تفيض بها نفسه، وساعده على ذلك شحن القصيدة ببعض الدوال التي يكثر دورانها على ألسنة الصوفية، وذلك مثل: "سقاني ثمالات سحر"، "شوابي"، "رماد الضياء" و"جمراً تشهيته" وهو ما ألقى بظلاله على روح القصيدة، كما هي دالة على روافد الشاعر وخلفيته المعرفية والدينية. واستخدم الشاعر هذه المفردة في مكان آخر قائلاً:

شُـــــــــدّي الربـــــــــابَ وقُـــــــــومي

على سُفوحِ النّجوم..

وَسَبّحي كيفَ شئتِ

على غناءٍ وَصمتٍ

(م. ن: ٤٨.٤٩)

لم يعزف الشاعر في هذه الأبيات على أوتار الغزل والحبّ الحسي بل شحّن أوتار حنجرته بتسبيح الذات الإلهية بالغناء والبوح به؛ لأنّ طاقاته الروحية والوجدانية قد أدخله عوالم الحبّ الروحانية فسمت بذلك لغته الشعرية. ونرى الشاعر يكشف عن اغترابه في العالم المادّي:

وفي يَدَيَّ غِناء

مُولوّلٌ مِن أسايا

مُهَمهِمٌ في صَباحِي

مُزمزِمٌ في مَسايا

كأنّه صَوتُ رؤيا

سَجينةٍ في الخَفايا

أو حُزنُ طيرٍ غريبٍ

في الليلِ يَنفُخُ نايا

(م. ن: ٥٧)

فمن خلال هذه الأبيات تعلو نبرات الحزن والاغتراب حيث يغنّي الشاعر أساه ويزمزمه، وذلك بسبب غربته في عالم المادّة إذ شبّه غناءه صباحاً ومساءً بطيرٍ غريب يغنّي حنينه إلى حبيب أبعد عنه متطلعاً لمواصلته. والمعجم اللغوي هنا أيضا يكشف بوضوح عن مفردات ذات علاقة بالنّاي مثل "غناء، مولول، مهمهم، مزمزم، وينفخ نايا" وهي لا تدلّ إلا على دلالات روحية زادت من صوفية رؤية الشاعر.

Downloaded from mail.ihmodares.ac.ir at 10:25 +0430 on Saturday August 29th 2020

٥-٢- النور

تعدّ كلمة "النور" وما يدور في فلكه سواء بطريق الترادف أو الاشتقاق، أو التضاد، من أهمّ محاور المعجم الشعري لمحمود حسن إسماعيل؛ هذه المفردة تعني في التفكير الصوفي "رؤية الأغيار بعين الحقّ، فإنّ الحقّ بذاته نور لا يدرك ولا يدرك به، ومن حيث أسماؤه نور يدرك ويدرك به، فإذا تجلّى للقلب ... شاهدت البصيرة المنورة الأغيار بنوره" (الحفني، ٢٠٠٣م: ٨٥٠). أخذت مفردة "النور" في شعر محمود حسن إسماعيل دلالات رمزية مكثفة بحسب السياق النصي الذي يرد فيه:

قَلبي إلى نُورِكَ نَشوانُ بِحُبّ سَرمدي
مُنطلِقٌ إلى سَماءٍ بالمُجالا لَم يُوصَد

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ٣٨)

هنا تدلّ مفردة "النور" على محبة الذات المطلقة؛ وقد بلغ حبّ الشاعر لله تعالى إلى درجة عبّر عنها بكلمة "نشوان" الذي تدلّ على سكره الدائم. ويتكرر لفظ النور ومشتقاته التي تنتمي إلى نفس الحقل الدلالي في شعر محمود حسن لتدلّ على السموّ وقدسية الخلق فضلاً عن أن النور يمثل محوراً مهماً تدور حوله كثير من قصائد الشعراء الرومانسيين (أنظر: القطّ، ١٩٧٨م: ٤٠١).

..الـدَّربُ ضَـوّأه للسّـراة
حَقيقَـة وحصـاد نـور
وهـدى الـدّجى..
وتَمَزَّقـت حُجـب الريـاء عِلـى الحُضـورِ!
فـاللهُ يَصـحَبُ كـلّ مَـن صَـحِبَ النّهـار
..وَمـا لِي عَـن غَـبشِ السُّـتورِ!!!!

(إسماعيل، ١٩٨٠م: ١٤)

يرمز النّور ومشتقاته في الأبيات السابقة إلى ذلك القبس الإلهي الذي لايراه ولا يدركه غير الصوفي الذي يبصر الحقيقة التي لا تدرك إلا بالقلب. ولم ينس الشاعر أن يتكئ هنا على محاور معجمه في هذا المقطع، وهو يستخدم هنا أربعة من هذه المحاور هي: "ضوّأ، نور، الدّجى، النهار" والشاعر يصارع دائماً من أجل كشف الذات لأنّه بهذا الكشف سوف يقترب من منطقة النور وفي النور جلاء كثير من الحقائق. لذا يسيطر عليه قلق دائم من أجل المجهول وشوق عارم لرؤية ما فيه، وبحث مستمر عن عالم النور الخالص، عالمه الخاصّ وواقعه في ذلك هو تلك المنطقة الغائمة من النفس الغامضة غموض المعبد

Downloaded from majhm.modares.ac.ir at 10:25 +0330 on Saturday May 23rd 2020

المقدس. (السعدني، ٦٩.٧٠). يقول:

سِـــــــــيري مـــــــــعَ النّـــــــــورِ سِـــــــــيري

وَغلغَلـــــــــــــــــــــي في الأثـــــــــــــــــــــيرِ..

وَأوغِلـــــــــــــــــــــي في الـــــــــــــــــــــدُّهورِ

وفي الزّمـــــــــــــــــــــانِ الكَبـــــــــــــــــــــيرِ..

وَكُلّمـــــــــــــــــــــا انسَـــــــــــــــــــــلَّ دَربٌ

سِـــــــــــــــــــــيري سَـــــــــــــــــــــيَمتَدُّ دربٌ..

وَلا تَهـــــــــــــــــــــابِي ظَلامـــــــــــــــــــــاً

ولـــــــــــــــــــــو تَلظّـــــــــــــــــــــى ضِـــــــــــــــــــــراما..

...

النُّـــــــــــــــــــــورُ عَـــــــــــــــــــــمَّ البِقَاعَـــــــــــــــــــــا

فَـــــــــــــــــــــلا تَقُـــــــــــــــــــــولي وَدَاعَـــــــــــــــــــــا..

(إسماعيل، ١٩٨٠م:٥٠)

يتوجه معجم هذه القصيدة إلى إبراز الحمولة الصوفية؛ فلفظ النّور وإن كان من الألفاظ المتداولة في الشعر العربي، فإنّ ما يميّزه في القصيدة هو ارتباطه بالتجلي. وقد وظف محمود حسن إسماعيل في هذه الأبيات مجموعة من الرموز تتشابه في أصلها وتتفق في دلالتها وهي: الشمس، السراج، النور إذ كلّها توحي وترمز إلى النور الإلهي المنبثق من التجليات.ويمثّل النور مصدر الهداية، وغاية الوصول:

واســـــقِني واشـــــرَب .. ولا تَحـــــرَم مِـــــنَ النّـــــورِ شِـــــفاهي

فـــــأغنّي .. ربِّ ســـــبحانَك دومـــــاً يـــــا إلهـــــي

...

Downloaded from mail.jhmodares.ac.ir at 10:25 +0330 on Saturday August 31st 2019

فاســـكُب النّـــوَر لقلـــبي وارو بالسّـــحر شِـــفاهي

فـــأغنّي ربّ ســـبحانك دومـــاً يـــا إلهـــي

(م. ن: ٨٩.٩٠)

وما النور في الأبيات المذكورة إلا رمزاً للهداية والفيض الإلهي الذين يرشدان السالك إلى الله في طريقه. ونراه في أبيات أخرى يستجير بالذات المطلقة ممّا يصدّ طريقه للوصول إلى النور الإلهي:

أجِـــرني يـــا رَبّ .. مِـــن كُـــلّ شَـــيء

يَصُـــدّ طريقـــي إلى وَمضَـــتك..

مـــنَ الليـــلِ.. يَســـحَقُ فيـــه الظَّـــلام

خطـــايَ الضَّـــريرات عـــن نَظرَتـــك..

مـــن النّـــور.. يفضَـــح ســـرّ الطريـــق

إذا جئـــتُ أشـــرب مـــن كرمتـــك..

مـــن الفَجـــر.. يفهـــقُ فيـــه الضِـــياء

فَيغـــرقُ دُنيـــاي في هَالتـــك

(م. ن: ٣٠.٣١)

ليست رؤية الشاعر هنا إلا رؤية إشراقية يدعو من الله أن يعتقه من متناقضات عالم المادة. فالشاعر يخاف من ظلمات الليل التي تمحق خطواته الضريرة وتقوده إلى الضياع الحاصل من الابتعاد عن طاعة الحقّ. والليل في هذه الأبيات ليس إلا رمزاً للحجاب الحائل بين السالك والذات المطلقة. كما أنّه يخاف من افتضاح سرّ نورانيتها بسكون الطاعة في السير إلى الحق؛ لأن الشاعر يريد أن يحتفظ بالسرّ لنفسه.

٥-٣- الخمر

إنّ النصّ الشعري الصوفي الذي يصف الخمرة والسكر تبدو مضامينه حسية في وصفها إلا أنّها تقع في تماس مع مدلولات تجربة الشاعر المشبعة بالفيض الصوفي فتتحول الخمرة إلى "موضوع مقدس يطوف به العارفون ويستلمون دنّه غير متحرجين من عيب أو دنس" (جودة نصر، ١٩٨٣م: ٣٧٠). وقد امتلأ شعرمحمود حسن إسماعيل بمفردات توحي بالخمر وهو رمز الفناء

Downloaded from majmo.sa.edu.sa on 2020-12-31 19:43:49 UTC By anonymous User

والتوحد مع ذات الحقّ. ويمكن إجمال الألفاظ التي تمثّل معجم الخمر لدى محمود حسن إسماعيل بكلّ دلالته فيما يلي (الرحيق، واسكب، وانتشت، ثملت، نشوة، الكرمة). هذه المفردات كلها صور تدلّ على حالة الشاعر الذي يعبّر عن ظمئه الشديد الذي وصلت إليه روحه. ومن ذلك قوله:

ظَمِئنـــــــا وَفُزنـــــــا بِحِـــــــظِّ الوصـــــــول

وَمِـــــــن غـــــــيرِ نُـــــــورِكِ لم نَشـــــــرَب

ظَمِئنـــــــا فَقَـــــــرِّب إلينـــــــا الرَّحيـــــــق

وَ جُـــــــد بالمتـــــــابِ علـــــــى المـــــــذنبِ

(إسماعيل، ١٩٨٠م:١٣٠)

فهذان البيتان زاخران برموز مختلفة منها الخمر التي تمثّلت في "الرحيق، وظمئنا" حيث يكشفان عن السكر الروحي الذي يوصل الشاعر بمحبوبه، إذ كشف هنا عن ظمأه الشديد إلى المحبة الإلهية فلذلك صرّح بأنّه في حاجة إلى الارتواء من الخمر الإلهي فعبّر عنها بالرحيق الذي يرمز إلى المحبة الإلهية وتجلّي الحقيقة. والرمز الآخر في كلمة "النور" الذي يرمز إلى القبس من النور الإلهي الذي ينير طريق السالك في الوصول إلى الذات المطلقة.

إنّ الصوفية يمزجون محبتهم الإلهية بخمرة السكر؛ لأنّ شدة السكر تجعل من الصوفي يبحر في فكرة الفناء للوصول إلى الحقيقة المطلقة التي تعبر عن حالة الاتحاد التي يصل إليها الصوفي في لحظة مناجاة ينعتق فيها من عالمه الناسوتي. وقد عبّر محمود حسن إسماعيل عن هذا المعنى بمفردة "ثمل" قائلاً:

ثَمِلـــــت روحِـــــي مـــــنَ الحـــــبّ ولاذَت عنـــــدَ بابِـــــك

وَرنـــــا قَلـــــبي فَشـــــاهدتُ السّـــــنا خلـــــفَ حِجابـــــك

وَهفـــــت عَيـــــني فأبصـــــرتُك في كـــــلّ زمـــــانٍ

وَانتشـــــت روحـــــي .. فَشـــــاهدتُك في كـــــل مَكـــــانٍ

(م. ن: ٨٩)

وهكذا نجد الشاعر يتوسل بالخمرة الإلهية التي تسكره وتطربه وتنسيه نفسه وكلّ الوجود، ولم يعد يرى إلا محبوبه الذي تجلى له وسلب منه روحه. وهنا نلاحظ أنّه وصف حالة العاشق الصوفي الذي يذوب في هذه الخمرة التي توصله إلى رؤية النور الصافي الذي يحتجب وراء حجاب السكر.

إنّ التجربة الصوفية لدى محمود حسن إسماعيل تكاد تمثّل تفسيراً جديداً لبعض مفردات صوفية؛ فعلى سبيل المثال

Downloaded from majlis.modares.ac.ir at 10:25 +0330 on Saturday August 31st 2020

أضحى "الرحيق" يحتمل دلالة مغايرة عمّا تعارف عليها الأوساط الصوفية، إذ غيّر دلالة المفردة عمّا كانت في الانطباع الذهني ليعطيها دلالة جديدة وبهذا يمكن تفسير بعض الغموض في شعره؛ "لأنّ الصوفية يشيرون باللفظ لعدّة معان على طريقة المشترك اللفظي أو الانزياح" (كعوان، ٢٠٠٩: ٢٢٦) استعمل الشاعر في المقطوعة المذكورة كلمة "الرحيق" رمزاً لصوت الأذان الذي يروي ظمأ المصلّين في إحدى قصائد الديوان:

أنـــتَ لحـــنٌ عـــاطرٌ يهـــدي قلـــوبَ الحائرينـــا

وَرحيـــــقٌ طـــــاهرٌ يـــــروي يقـــــينَ المؤمنينـــــا

فانشُـــــرِ الرحمـــــةَ في كـــــلِّ صـــــباحٍ ومســـــاء

واســـكُبِ التوحيـــدَ واصـــعد بـــين أجـــوازِ الفضـــاء

(م. ن: ٩٦)

والأذان رمز الاتصال الروحي بين المسلم وخالقه للتقرب إليه، وهو يهدي القلوب الحائرة ويزيد يقين المؤمنين. وأمّا تشبيه الشاعر الأذان بالرحيق فتعني دلالة واحدة وهي السكر المعنوي؛ لأنّ الصوفية يمزجون محبتهم الإلهية بخمرة السكر. والأبيات تحتوي على حشد كبير من اللغة الصوفية منها "العطر، الرّحيق، يروي، اسكب" وهذه الألفاظ تذهب بنا إلى عالم الصوفية.

٦- نتائج البحث

توصّلت الدراسة إلى بعض نتائج منها:

١ . حقّق الشاعر محمود حسن إسماعيل في ديوان "صوت من الله" بوصفه شاعراً صوفيّاً كثيراً من المضامين الصوفية في شعر منها الحبّ الإلهي وحاول من خلاله أن يعتق روحه من قيود الجسم وسما به نحو الاتحاد مع الذات الإلهية أو الفناء فيه.

٢ . إن الطبيعة في شعر محمود حسن إسماعيل هي مظهر من مظاهر التجلّي للذات الإلهية، وهي من مكوّنات الرئيسة في شعره التي لا ترى مظاهر الطبيعة إلا استجلاء للذات المطلقة وأسرارها.

٣ . ومن الناحية الأسلوبية تميّزت الخطاب الصوفي لدى محمود حسن إسماعيل بتوظيف بعض الرموز الصوفية التي لها دلالات ظاهرة وخفية، منها الناي، النور والخمر التي تكثر في شعره مقارنة بالرموز الأخرى.

٤ . تجاوز الخطاب الصوفي في شعر محمود حسن إسماعيل في حضوره وتجليه حدود التناص مع أفكار الصوفية وإشاراتها، إلى البناء التركيبي الذي يفعم بالمعجم الصوفي فيحيل القارئ إلى جوّ مليء بالتبتّل والخشوع والتجلّي والخضوع أمام الذات الإلهية المطلقة.

Downloaded from majhm.modares.ac.ir at 10:25 +0330 on Saturday May 23rd 2020

المصادر

القرآن الكريم

١ . إسماعيل، محمود حسن (١٩٨٠). صوت من الله، الطبعة الأولى، دار الشروق.

٢ . جودة نصر، عاطف (١٩٨٣م). الرمز الشعري عند الصوفية، مصر: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

٣ . حسان، عبدالكريم (١٩٩٥م). التصوف في الشعر العربي، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

٤ . الحفني، عبدالمنعم (٢٠٠٣م). الموسوعة الصوفية، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي.

٥ . الديك، إحسان (٢٠١٠). تجليات الخطاب الصوفي في شعر ريم حرب، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد العشرون، حزيران، صص ٢٠٩.٢٤٨ .

٦ . رحمتي تركاشوند، مريم؛ وآخرون (١٤٣٩). بين المديحين النبويين لكعب بن زهير وابن الساعاتي، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، العدد ٢ (٢٤)، صص ١.٢٦ .

٧ . سامي، سحر (٢٠٠٥م). شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٨ . السراج الطوسي (١٩٦٠). اللمع في التصوف، د.ط، مصر: دار التوفيقية للطباعة.

٩ . السعدني، مصطفى (لاتا). التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، منشأة المعارف بالإسكندرية.

١٠ . سليطين، وفيق (٢٠١٠). ناي الرومي في لهاة الشعر العربي الحديث "لا يشدو الناي إلا عندما يكون فارغا"، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد ١، صص ٧٤..٦٣

١١ . الشريف الكتاني، نور الهدى (٢٠٠١م). الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس.

١٢ . شكري محمد، عياد (١٩٧٨م). الرؤيا المقيدة؛ دراسات في التفسير الحضاري للأدب، القاهرة: المصرية العامة للكتاب.

١٣ . شكري محمد، عياد (١٩٧٨). انكسار النموذجين الرومانسي والواقعي في الشعر، الكويت: مجلة عالم الفكر.

١٤ . الصادق الوهابي رضوان (٢٠٠٧). الخطاب الشعري الصوفي والتأويل، ط١، الرباط: منشورات زاوية.

١٥ . عبدالحق، منصف (١٩٨٨). الكتابة والتجربة الصوفية: نموذج محي الدين بن عربي، ط١، الرباط.

١٦ . عبد الدائم، صابر (١٩٩٤). الأدب الصوفي اتجاهاته وخصائصه، ط٢، القاهرة: دار المعارف.

١٧ . عشري زايد، علي (١٩٩٢م). قراءات في شعرنا المعاصر، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الشباب.

١٨ . فيدوح، عبدالقادر (٢٠١٢). معارج المعنى في الشعر العربي الحديث، سورية: صفحات للدراسات والنشر.

١٩ . القشيري، عبدالكريم (٢٠٠١م). الرسالة القشيرية في علم التصوف، بيروت: دار الكتب العلمية.

Downloaded from marefat.modares.ac.ir at 10:25 +0330 [DOR: 20.1001.1.23453419.1399.5.1.5.8] Saturday, August 21st 2020

٢٠ . القط، عبدالقادر (١٩٧٨). الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، القاهرة: مكتبة الشباب.

٢١ . قطوس، بسام (٢٠٠١). سيمياء العنوان، ط١، عمان: وزارة الثقافة.

٢٢ .كعوان، محمد (٢٠٠٩) التأويل وخطاب الرمز: قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، ط١، الجزائر: دار بهاءالدين.

٢٣ .كندي، محمدعلي (٢٠١٠م). في لغة القصيدة الشعرية، الطبعةالأولى، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

٢٤ . محمد جمعة، بديع (١٩٩٦م). تقديم كتاب منطق الطير، لفريد الدين العطار النيسابوري، بدون طبعة، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٥ . محمد منصور، إبراهيم (١٩٩٦م). الشعر والتصوف: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، مصر: دار الأمين للنشر والتوزيع.

٢٦ . محمود، لؤي شهاب (٢٠١٧). الاتجاه الصوفي في شعر محمد راضي جعفر: تحولات الروح أنموذجا، مجلة الآداب، العدد ١٢١، صص ١٦١. ١٩٨.

٢٧ . مومنى، محمد (١٤٣٨) التجلّي ومراتبه من منظور الشيخ نجم‌الدين الرازي ومحيي الدين ابن عربي، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، العدد ٢ (٢٣)، صص ٧٣-٩٠

References:

The Holy Quran

[1] Ismael, Mahmoud Hassan, (1980). *The Voice of God*, First Edition, Cairo: Dar al-Shorouq.

[2] Judat Nasr, Atef, (1983). *A Poetic Symbol for Sufis*, Cairo: Dar al-Andalus.

[3] Hassan,Abdul Karim (1995). *Sufism in Arabic Poetry*, Egypt: Angelo Publications.

[4] Al-Hafni, Abdul Moneim, (2003). Sufism Encyclopedia, 2nd Edition, Cairo: Modbouli Publishing.

[5] Aldik, Ehsan, (2010). "The Presence of Sufi discourse in Rim Harb's Poetry", *Journal of Qods University*, No. 20, June 2010, Pp:209-248.

[6] Rahmati torkashvand and her colleagues (1439) Structural and content Analysis of Eulogy of the prophet in the poems of Kab Ibn Zuhayr and Ibn al-saati, Journal of Studies in the humanities, No 2, pp : 1-26.

[7] Sami, Sahar, (2005). *Poetry of the Sufi Text in the Meccan Conquests of Mohyiaddin bin Arabi*, Cairo: The Egyptian General Book Authority.

[8] Al-Seraj Al-Tousi, (1960). *Shining in Sufism*, Egypt: Al-Tawfiqiyah Press.

[9] Al-Saadeni, Mustafa, (Undated). *Artistic Image in the Poetry of Mahmoud Hasan Ismail*, Alexandria: Knowledge Facility.

Downloaded from majih.mohesr.edu.sa on 2020-08-23 15:37:48 +0000 Downloaded from majih.mohesr.edu.sa on 2020-08-23 15:37:48 +0000

[10] Sulaitin, Wafigh, (2010). The Rumi Flute in Modern Arabic Poetry, "It doesn't Sing Unless it's Empty ", *Journal of Studies in Arabic Language and Literature*, No. 1, Pp. 74-63.

[11] El-Sharif el-Ketani, Nour el-Hoda, (2001). "Sufi literature in Morocco and Andalusia in the Al-Movahhedin Era", PhD thesis, University of Muhammad V.

[12] Shokri Muhammad, Ayad (1978). *The Restricted Vision, Studies in the Civilizational Interpretation of Literature*, Cairo: Egyptian General Book Authority.

[13] Shokri Muhammad, Ayad (1978). *Refraction of the Romantic and Realistic Models in Poetry*, Kuwait: Alam Al-Fikr Magazine.

[14] Sadiq al-Wahhabi Radwan, (2007). *Sufi Poetic Discourse and Exegesis*, First Edition, Rabat: Zawya Publications.

[15] Abdol-Haqq, Munsif, (1988). W*riting and Sufi Experience: Case Study of Mohiuddin bin Arabi*, First Edition, Rabat.

[16] Abdol-Daiem, Saber (1994). Sufi Literature, its Attitudes and Characteristics, 2nd Edition, Cairo: Dar al-Maarif.

[17] Ashry Zayed, Ali (1992). *Readings in Our Contemporary Poetry*, 2nd Edition, Cairo: Al-Shabab Library.

[18] Fidouh, Abdol-Qader, (2012). *The Meaning of Ascension in Modern Arab Poetry*, Syria: Pages for Studies and Publishing.

[19] Al-Qushairi, Abdul-Karim (2001). *The Qushairi Message in the Science of Sufism*, Beirut: Scientific Books Publisher.

[20] Al-Qet, Abdol-Qader , (1978). *The Emotional Direction in Contemporary Arab Poetry*, Cairo: Al-Shabab Library.

[21] Qutus, Bassam, (2001). *The Semiotics of the Title*, First Edition, Amman: The Ministry of Culture.

[22] Kawan, Mohammed, (2009).*The Symbolic Discourse Interpretation and Analysis: A Study in Contemporary Arabic Sufi Poetry*, First Edition, Algeria: Bahaal-Din Publisher.

[23] Kandi, Mohammed Ali, (2010). *Research on Poetic Language*, First Edition, Beirut: Dar al-Jadid al-Mutajaddedeh.

[24] Muhammad Jum`a, Badi, (1996). Presentation of the Book "The Logic of the Bird" by Farid al-Din al-Attar al-Neyshaburi, without edition, Beirut: Dar Andalus Printing, Publishing and Distribution.

[25] Mohamed Mansour, Ibrahim (1996). *Poetry and Sufism: The Sufi Impact on Contemporary Arabic Poetry*, Egypt: Amin Publishing and Distribution.

[26] Mahmoud, Louay Shihab (2017). The Sufi Direction in the Poetry of Muhammad Radhi Jaafar: Developments of Soul, *Journal of Literature*, No. 121, Pp. 161-198.

[27]Momeni, mohammad (1437) The Transfiguration and its Ranks from the Perspective of Sheikh Najmuddin Al-Razi and Muhiy- aldin Ibn Arabi, Journal of Studies in the humanities, No 2, pp : 73-90

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

Downloaded from mail.jhm.modares.ac.ir at 10:25 +0330 on Saturday August 29th 2020

Downloaded from mail.jhmodares.ac.ir at 10:25 +0330 on Saturday August 21st 2020

تجلّی گفتمان صوفیانه و مؤلفه‌های آن در شعر محمود حسن اسماعیل (مطالعه موردی: دیوان ''صوت من الله'')

جمال طالبی قره‌قشلاقی*

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی ، دانشگاه فرهنگیان، تهران، ایران

چکیده

ادبیات صوفیانه گونه‌ای ادبیات متعالی است که مشتمل بر معانی والا و نیز صفات و ویژگی‌های عالی روحانی است. محمود حسن اسماعیل در دیوان «صوت من الله» با الهام از تجربه تصوف، که نمایانگر مرحله ویژه‌ای از سیر تطوّر شعری او است، به مضامین والایی پرداخته و غالب قصائد دیوان مذکور جلوه‌ای از روح تشنه وی در رسیدن به ذات مطلق الهی است. این مطالعه به روش توصیفی و تحلیلی خود، مؤلفه‌های گفتمان صوفیانه، دیدگاه‌ها و اشراقات روحانی را در شعر این شاعر معاصر مصری مورد نقد و بررسی قرار داده است. مهم ترین یافته‌ی جستار حاضر این است که شاعر در گفتمان صوفیانه خود به برخی مباحث صوفیانه از جمله وحدت وجود و فناء فی الله پرداخته و این مباحث در ساختارقصائد ونیز ترکیب واژگان متجلی شده و قصاید این دیوان را به اشراقات صوفیانه‌ای بدل ساخته است که روح در آن از قالب تن رهیده و در عوالم جدیدی سیر می‌کند. از سوی دیگر، عشق به ذات مطلق الهی، مبنای اساسی قصائد این دیوان را تشکیل می‌دهد و شاعر با گذر از قالب جسم به اتحاد و فناء فی الله رسیده است. از منظر بافت زبانی نیز، شاعر برخی نمادها و رموز صوفیانه از جمله نی، نور و خمر را به شکل ماهرانه‌ای به کار برده و بر حلاوت و دلنشینی قصائدش افزوده است.

واژگان کلیدی: شعر معاصر عربی، تحلیل گفتمان صوفیانه، تصوف، رمز، محمود حسن اسماعیل.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* نویسنده مسئول مقاله: E-mail: j.talebi@cfu.ac.ir

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:57 IRDT on Monday August 31st 2020

The Manifestations of Sufi Discourse and its Components in the poetry of Mahmoud Hasan Ismail: A Case Study of *Soot Min Allah* (The Voice of God)

Jamal Talebi Ghareghashlaghi*

Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Farhangyan University, Tehran

Abstract

Sufi literature is a kind of transcendent literature that contains sublime meanings as well as high spiritual attributes and characteristics. Mahmoud Hasan Ismail inspired by the Sufi experience, which represents a special stage in the evolution of his poetry has represented transcendental themes in his work *Soot Min Allah* (The Voice of God), which is the manifestation of his thirsty soul in reaching the absolute divine essence. This study through a descriptive and analytical method represents the components of the Sufi discourse in the poetry of Ismail and examines its brightness and visions through his collection "The Voice of God". The most important finding of the study is that the poet in his mystic speech exceeded the limits of intertwining with the ideas and references of Sufism. This is reflected in the construction of his poems, images and compositions, turning it into a mystical vision where the soul flew in new worlds and rid the body of its material. On the other hand, an absolute self-love is the basic principle in "The Voice of God", whose spirit is emancipated from the flesh of the flesh, so he goes to the ends of existence and calls it towards union with the divine self and its annihilation. In linguistic terms, the Sufi language of Ismail was characterized by the employment of some mystical symbols that have visible and hidden connotations, including flute, light and wine, which abound in his poetry compared to other symbols, in a manner that has increased the meaning of beauty and splendor.

Keywords: Contemporary Arabic Poem; Sufi Discourse; Sufism; Symbol; Mahmoud Hasan Ismail.

.

* Corresponding Author's E-mail: j.talebi@cfu.ac.ir